بسم الله الرحمن الرحيم

جدد إيمانَكَ بالله مع أساسيات الدين الإسلامي

18 جمادي الأول 1432 هجري **خالد المغربي – فلسطين – القدس - المسجد الأقصى**

وفق: 2011/04/22م ***www.al-msjd-alaqsa.com***

نبضات من تبيان القرآن – في أول أمثال سورة البقرة – 13

يقول عز وجل (مَثَلُهُم كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءَت مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّـهُ بِنُورِهِم وَتَرَكَهُم فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ * صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُم لَا يَرْجِعُونَ * أَو كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي ءَاذَانِهِم مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ * يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُم كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَو شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِم وَأَبْصَارِهِم إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (البقرة2: 17–20).

(كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا)

قلنا، أنه سبحانه وتعالى قد أغلق جميع أبواب الأعذار أمام الكفار، فلن يكون بإمكانهم القول يوم القيامة أنهم كانوا غافلين، ولن يستطيعوا تحميل أوزارهم لغيرهم من الناس، فها هو عز وجل يجعل لهم كل ما في الكون آياتٍ بيناتٍ، وها هو قد إبتعث فيهم الرسل والأنبياء والصالحين والدعاة لهدايتهم وإرشادهم للصراط المستقيم، وها هو قد أنزل عليهم الكتب

السماوية لتذكيرهم وتعليمهم، وها هو قد خلق فيهم الموت يخطف به من حولهم ليتعظوا ويتذكروا أنهم لا محالة ميتون، ثم ها هو قد بين لهم أنه بهم محيط، فلن يضيعوا بين حبات التراب ولا بين قطرات الماء ولا بين شرارت الإحتراق، فهو سيجمعهم سبحانه وتعالى من التراب ومن الرماد ومن الماء ومن الهواء، ثم أنهم لن يستطيعوا أن يختبئوا بين المبعوثين فيفروا من الحساب، ولن يستطيعوا أن يخدعوا الزبانية فيفروا من العذاب، ثم ها هو عز وجل ما بين الفينة والفينة يبرهن لهم بطريقة ما أنه الحق وأنه صاحب الوجود فيعطيهم الفرصة تلو الفرصة للتوبة والأوبة والعودة، فماذا سيكون حال الكفار بعد أن تبين لهم وأستقر في قلوبهم أن الله هو الحق وأن محمد حق وأن الإسلام حق وأن القرآن حق وأن الموت حق وأن البعث حق وأن الحساب حق وأن النار حق؟! ما هم فاعلون؟! وكيف هم ناظرون لهذا الدين؟!

وياتي الجواب من كلام الله (كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا)، ويجب أن لا نندفع ونتسرع في تربيط العلوم المستقرة لدينا في فهم كلام الله، فكلام الله يحتاج للكثير الكثير من التدبر والتفكر ويحتاج الكثير الكثير من الأناة والتأني والتروي، ويحتاج الكثير الكثير من إمعان النظر وإعادة الإمعان مرات ومرات، ويحتاج الكثير الكثير من اخلاص العمل لله في محاولة الفهم، ويحتاج تقوى عالية في القلب ليفتح الله عليك في بيان معاني القرآن، أما من يتعجل فقد يعتقد أن الفاعل في الإضاءة هو نفسه الفاعل في الظلمة وهذا تسرع يوقع بالخطأ، **فكيف يكون فاعل الإضاءة هو نفسه فاعل الظلمة، ونحن نعلم أنه لا ياتي من الله إلا الخير ونعلم أن الشر من**

الناس، فالضياء من الله، والظلمة من الناس، يقول عز وجل (أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَو كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ وَإِن تُصِبْهُم حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِن عِندِ اللَّهِ وَإِن تُصِبْهُم سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِن عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِن عِندِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً * مَا أَصَابَكَ مِن حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً) فكلما وصل للكافر خبر من أخبار الدين والحق ووقف عليه أول وقوف استصاغه واستحسنه وقال ما أجمله وما افضله فأنار هذا الإستحسان وهذا القبول له قلبه فتنعم قلبه بهذا النور وحلت به السكينة والطمأنينة وأخذ يمشي ويتفكر ويستحسن ويستظرف هذا الخبر الجديد، ولكن سرعان ما ينقلب أمر هذا الكافر ويعود لكفره سواءا بتذكره أنه كافر وأنه يريد ان يبقى كافر، أو بوسوسة شيطانه له، أو يتقريع غيره له، فكيف سيقول لمن حوله أنه يريد التحول للإسلام؟ هذا الأمر قد يجعله يخسر ما حوله؟ قد يخسر أولاده؟ قد تطلقه زوجته؟ قد يخسر أبواه؟ قد يخسر جيرانه؟ قد يخسر أصدقاءه؟ قد يخسر زملاءه في العمل؟ قد يخسر عمله؟ قد يخسر ميزات أعطاها له الكفر؟ ومع كل هذه الوساوس والأفكار السوداء يبدأ بتكذيب ما إستحسنه سابقاً، ويبدأ بمحاربة ما أدخل على قلبه الطمأنينة والسكينة، فيخبوا النور الذي شع في قلبه من جديد ثم يخبوا حتى ينطفأ، فإذا أنطفأ هذا النور قام الكافر لحاله السابق من عِدائه للإسلام والمسلمين ولربما إشتد هذا العداء وهذا الكره في قلبه.

فها هو حكيم العرب الوليد بن المغيرة -كما وصفوه- جاء يساوم النبي صلى الله عليه وسلم؛ مقلبًا له الأمور على كل وجوه الاسترضاء التي يقبلها البشر. وهنا يقول له النبي صلى الله عليه وسلم: (أفرغت أبا الوليد)، يقول

نعم فيقول له: (فاسمع مني)، ثم تلا عليه سورة فصلت حتى وصل إلى قوله تعالى (فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ) (فصلت41: 13). فوضع يده على فم النبي صلى الله عليه وسلم وناشده الله والرحم ألا يكمل. وعاد لقومه بوجه غير الذي ذهب به. وروى الحاكم وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه القرآن فكأنه رق له، فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال: يا عم إن قومك يرون أن يجمعوا لك مالاً! قال: لم؟ قال: ليعطوكه فإنك أتيت محمداً تتعرض لما قاله، قال: قد علِمتْ قريش أني من أكثرها مالاً، قال: فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك منكر له أو أنك كاره له، قال: وماذا أقول؟! فو الله ما فيكم من رجل أعلم بالأشعار مني ولا أعلم برجزه ولا بقصيده ولا بأشعار الجن مني، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، والله إن لقوله الذي يقول حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو وما يعلى، وإنه ليحطم ما تحته، قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه! قال: فدعني حتى أفكر، فلما فكر قال: هذا سحر (يؤثر يأثره عن غيره)، فنزلت: (ذَرْنِي وَمَن خَلَقْتُ وَحِيداً * وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُوداً * وَبَنِينَ شُهُوداً * وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيداً * ثُمَّ يَطْمَعُ أَن أَزِيدَ * كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لآيَاتِنَا عَنِيداً * سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً * إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ * فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ نَظَرَ * ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ * ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ * فَقَالَ إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ * إِن هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ * سَأُصْلِيهِ سَقَرَ) (المدثر74: 11-26). قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

فكما نرى أن قلب الوليد بن المغيرة قد رق، ولكن بدء هوى نفسه ووساوس الشياطين من حوله يعملوا فيه حتى كذب هذا الحق الذي دخل قلبه وأستمر الهوى والوسواس في قلبه حتى أنقلب ضد هذا الحق وحتى أصبح يراه باطلاً فعاد لما كان عليه من الكفر، وماذا كانت النتيجة غضب من الله عليه (فقتل كيف قدر * ثم قتل كيف قدر)، والعاقبة جهنم وبس المصير. وهذا هو حال كل كافر، حيث سيقدر الله له من يرشده ويهديه ويريه الصراط المستقيم، إلا أن فجور هذا الكافر سيطغى في النهاية على التقوى ويعود لكفره وعناده من جديد، فحسبنا الله ونعم الوكيل.

(وَلَو شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِم وَأَبْصَارِهِم إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)

لنعد للوليد بن المغيرة حيث وصف نفسه قائلا: (فو الله ما فيكم من رجل أعلم بالأشعار مني ولا أعلم برجزه ولا بقصيده ولا بأشعار الجن مني) وقال (قد علمت قريش أني من أكثرها مالاً)، فماذا أفاده علمه، وماذا افاده ماله، إذا كانت عاقبته جهنم، ماذا افاده سمعه الذي سمع به القرآن، إذا أعرض عنه، وماذا أفاده بصره لما نظر، إذا أتْبعَه بعبوسٍ وبسرٍ وإدبارٍ وإستكبار، من المؤكد أن سمعه لم يفده وبصره لم يفده وعلمه لم يفده وماله لم يفده، يقول عز وجل (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُم أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُم ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَل هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ) (الأعراف7: 179)، ويقول (أَفَلَم يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَو ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ) (الحج22: 46)، والسؤال هو لماذا يعطي الله الكفار ما لا يفيدهم، إن كان السمع لن يجلب لهم المصالح فما حاجتهم بالسمع، وإن كان البصر لن

يجلب لهم المصالح، فما حاجتهم بالبصر، وإن كان العلم لن يجلب لهم المصالح، فما حاجتهم بالعلم، وإن كان المال لن يجلب لهم المصالح، فما حاجتهم بالمال؟ ألم يكن من الأجدر والأولى والأسرع أن يدخلهم سبحانه وتعالى نار جهنم مباشرة -وهو سبحانه وتعالى على هذا قادر- بعلمه الأزلي السرمدي أنهم كفار وأنه لن يجدي معهم شيء، لن تنفعهم الآيات ولن تهديهم الرسل، ولن تصلحهم الكتب، ولن يعيدهم الدعاة والصالحين، ما فائدة أن يهبطهم الله إلى الأرض ويعطيهم الفرص الكثيرة لتوبة لن يصلوا لها؟ والجواب هو أن رحمة الله وعطفه وكرمه تأبى أن يشعر الكافر وهو في نار جهنم بأنه مظلوم، فقد يدعي هذا الكافر كذباً أنه ليس بكافر، وأنه لو أتاح الله له الفرصة لأثبت ذلك، فها هي الفرصة قد أعطيت للكفار قبل أن يطلبوها، وها هو جزء كبير منهم لا زالت أمامهم هذا الفرصة للعودة والتوبة، فتوبوا لله يا كفرة وعودوا له يقبلكم، وقوا أنفسكم ناراً وقودها الناس والحجارة ما دام في أنفاسكم نفس، وما زال في اعماركم بقية، فإنكم ميتون وإلى ربكم منقلبون، وبين يديه موقوفون، وسيحاسبكم ولن تجدوا أعذاراً تحتجوا بها، فقد أغلق الله عليكم كل أبواب الأعذار، إنا لله وإنا إليه راجعون، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله.